الكلية: كلية الآداب

القسم أو الفرع: قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة: أ.م.د. بشير صباح عواد

اسم المادة: الدويلات الاسلامية في المغرب .

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic states in Morocco

اسم المحاضرة باللغة العربية: دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦ هـ/٨٠٠ -٩٠٨م) .

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية:(Aghlabid State (184–296 AH / 800–908 AD) .

دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦ هـ/٨٠٠ -٩٠٨م) :

دولة الأغالبة أو دولة بني الأغلب هي دولة عربية إسلامية أسسها إبراهيم بن الأغلب التميمي في إفريقية عام (١٨٤ هـ/٨٠٠ م) وتمددت لاحقًا إلى إيطاليا ومالطا وسردينيا بعد أن فرضت نفوذها على القسم الأكبر من إفريقية وتعد من أقدم الدول الإسلامية من حيث النشأة ، وأول دولة إسلامية نشأت في إفريقية (تونس حاليًا). وقد نشأت الدولة الأغلبية في وقت كانت إفريقية تشهد فيه كثيرًا من الفتن والحروب والصراعات بين مختلف القوى على الساحة، واستطاع بنو الأغلب فرض الأمن في جميع أنحاء المغرب وجلب الاستقرار له.

كان مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي رجلًا شجاعًا وقد استفاد من ثورة تمام بن تميم التميمي على والي العباسيين: محمد بن مقاتل العكي عام ١٨٣ هـ والذي تمكن من هزيمة الجيش العباسي وطرد ابن مقاتل والاستيلاء على القيروان فبارزه إبراهيم بن الأغلب

وهزمه ورد ابن العكي، وعندما بلغت هذه الأخبار الخليفة هارون الرشيد جعل إبراهيم بن الأغلب ومن بعده أبنائه وأحفاده ملوكًا على إفريقية وذلك مقابل أن يخطبوا للعباسيين على منابر الجوامع والمساجد، فأسس إبراهيم بن الأغلب أركان الدولة ومهد الطريق في إفريقية وهزم أهل الشرور والفتن وقضى عليهم، وبنى دولة قوية استمرت من بعده أكثر من قرن من الزمان.

قوة دولة الأغالبة:

وقد بلغت الدولة الأغلبية أوج قوتها وازدهارها في عهد الملك عبد الله الأول بن إبراهيم وأخيه الملك زيادة الله الأول بن إبراهيم إذ تمثلت المرحلة الثانية في تجهيز جيش قوي لفتح جزيرة صقلية والسواحل الإيطالية وذلك عام ٢١٢ هـ ثم تتابعت الجيوش لذلك حتى تمكن الجيش الأغلبي في عهد الملك محمد الأول بن الأغلب من الوصول إلى روما عاصمة الدولة البابوية وغزوها، ولم يرجعوا عنها حتى أعطاهم البابا يوحنا الثامن الجزية، وكان للدولة الأغلبية السيادة على البحر الأبيض المتوسط طيلة القرن الثالث الهجري وبذلك فتحوا جزيرة مالطا عام ٢٥٥ هـ على يد القائد أحمد بن عمر الأغلبي واتخذوا منها قاعدة بحرية لهم لتميز هذه الجزيرة بموقع استراتيجي في وسط البحر الأبيض المتوسط، وبذلك كانت السفن الأوروبية تدفع لهم الضرائب مقابل مرورها بأمان.

وأحتفظ الأغالبة بعلاقات طيبة مع الدولة العباسية في بغداد حتى آخر أيامهم، وكان لهم صراعات مع جيرانهم الدولة الطولونية في مصر والدولة الرستمية في غرب الجزائر خصوصًا في عهد الملك إبراهيم بن أحمد الأغلبي الذي شن حملةً عسكرية على الدولتين وألحق بهما الهزيمة، واستمرت الدولة الأغلبية حتى دب فيها الضعف والصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الأغلبية الحاكمة حتى قضى عليهم العبيديين عام (٢٩٦ هـ/٩٠٩ م) وهرب أخر ملوكهم زيادة الله الثالث إلى الشام وما لبث إلا أن توفي في مدينة القدس.

سقوط دولة الأغالبة :

تولى الإمارة بعد إبراهيم ابنه أبو العباس عبد الله (٢٨٩-٢٩٠هـ/ ٩٠٢-٩٠٣م) وكان في صقلية حين تنازل له أبوه عن الإمارة، ويمكن عدّ عهده القصير استمراراً لعهد والده، وكان ساعد أبيه الأيمن في حروبه في مختلف الأقاليم، ولاسيما في قيادة الجيوش في صقلية، كما كان شجاعاً عالماً بالحرب، حسن النظر في الجدل. أعاد النظر في أعمال أبيه، وقام بتغييرات في ولاية الأقاليم، واصطدم مع داعي دعاة الفاطميين الذي استولى على ميلة .

تغيرت أحوال عبد الله بعد مدة قصيرة، فأظهر التقشف، ولبس الصوف، وأظهر العدل والإحسان والإنصاف، وجالس أهل العلم وشاورهم، فكان يجلس معهم على الأرض، وترك قصر الرقادة وسكن داراً مبنية بالطوب، وكان لا يركب إلا إلى الجامع، سجن ابنه زيادة الله سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م في داره، لأنه وصل إلى علمه أنه ينوي الخروج عليه، ولكنه ما لبث أن اغتيل في منزله بمدينة تونس على يد غلمانه في السنة نفسها. وآلت الولاية والإمارة إلى ابنه المقيد زيادة الله بن أبي العباس (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م) الذي خرج من السجن إلى سرير الملك، وكان آخر أمراء الأغالبة في بلاد المغرب، فأخذ البيعة لنفسه من أهله وأقاربه، وقرأ كتاب البيعة على منبر المسجد الجامع بتونس، ولكنه، نتيجة للطريقة التي وصل بها إلى الحكم بدأ عهده بإراقة الدماء، فغدر بأعمامه وإخوته، وقتل بعض فتيانه وقادته، واشترى بعضهم بالمال، وشهد عهده انتصارات داعي دعاة الفاطميين أبي عبد الله الشيعي المتوالية، على كثرة الحشود التي حشدها لقتاله، فاستولى أبو عبد الله على سطيف، ثم قسنطينة سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م بعد معركة حامية، خسر فيها زيادة الله جنده وسلاحه وماله، وتوالت هزائم الأغالبة يوماً بعد يوم، فاستولى أبو عبد الله على بَلْزَمة وطَبْنة، وألغى نظام الضرائب الأغلبي، كما سقطت بيده تيجَس وتبعتها باغاية في شعبان سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٧م ثم مجانة وقصر الإفريقي وتيفاش وقالمة

أو قالة ومسكيانة وتبسَّا ومديرة (حيدرة) ومرماجنة والقصرين ثم توزر وقفصة، ثم سقطت الأرْبُس في سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م بعد معركة حاسمة، وهكذا أخفق زيادة الله في وقف المد الفاطمي، على الرغم من محاولاته الاتصال بالخلافة العباسية طالباً النجدة من الخليفة المكتفي بالله أولاً ثم من الخليفة المقتدر بالله، وتوثيق صلاته بالحسنيين أقارب الأدراسة في المغرب الأوسط، وتحريضه الفقهاء في إفريقيّة وعامة الشعب على الفاطميين، وإعادته العاصمة إلى رقّادة، فدب اليأس إلى قلبه وانغمس في اللهو والشراب، وبعد سقوط الأرْبُس في يد الفاطميين فر إلى طرابلس ومنها إلى مصر ففلسطين، وتوفي في الرملة. فبايع الأغالبة ابن عمه إبراهيم بن أبي الأغلب، ولكن الناس ثاروا عليه بعد أخذه البيعة مباشرة مطالبين بالأمن والسلام، واضطروه إلى الخروج من العاصمة ودخل الفاطميون القيروان ثم رقادة، كذلك خلع الصقليون طاعة الأغالبة، وأعلنوا طاعتهم للفاطميين وبذلك سقطت دولة الأغالبة .

أهم المظاهر الحضارية لدولة الأغالبة :

توارث الأغالبة الحكم في الأسرة من دون نظام دقيق، فكانت الإمرة تنتقل من الأب إلى الابن أو إلى الأخ أو إلى العم أو ابن الأخ، ولم يخل الأمر من وقوع نزاع على العرش، ولم يأخذ هذا النزاع منحى حاداً إلا في نهاية حكم الأسرة .

ظهرت في دولة الأغالبة كل التيارات الفكرية المعروفة في المشرق والمغرب على السواء في المجالين الديني والدنيوي. وبرز فيها أعلام لهم مكانتهم، وعلى رأسهم أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ) الذي يمثل ازدواج التأثير في القيروان بين مدرستي المدينة المالكية والعراق الحنفية، ودوّن ما اكتسبه في كتابه الأسدية في الفقه، كذلك اشتهر عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون صاحب المدونة، التي أصبحت كتاب الفقه المالكي الأساسي للمغرب والأندلس فيما

بعد، وكان لهذين الفقيهين أثر في الجهاز الإداري، فقد أسندت إليهما أعمال متعددة كانت من صلاحيات الأمراء، كما برز في عهد أبي الغرانيق الفقيه المالكي محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م) الذي اشتهر بالفقه والجدل والحديث، وكان كثير الكتب غزير التأليف له نحو مئتي كتاب في فنون العلم، وكانت له مواقف مناهضة لمذهب الأحناف وهو مذهب دولة الأغالبة، كما خالف مقالة المعتزلة بخلق القرآن، وحدث في عهد أبي الغرانيق خلاف في الرأي بين السحنونية أنصار محمد بن سحنون، وبين العبدوسية أتباع محمد بن إبراهيم بن عبدوس، الذين أطلق عليهم لقب الشكوكية، وقد نال الفقهاء هذه المكانة على الرغم من الخلافات التي فرقت صفوفهم بين مالكية وأحناف يطعن كل منهما بعلم رجال الفريق الثاني، كذلك ضمت دولة الأغالبة معتزلة وخوارج من الصفرية والإباضية، وكانوا يعملون حلقاً في المسجد يتناظرون فيه، وتمكن الإمام سحنون من الوقوف في وجه الخوارج، إلا أنه كان عاجزاً عن مثل ذلك أمام المعتزلة لأنهم تمتعوا بحماية الأمراء، ولاسيما الأمير أحمد (٢٤٢-٢٤٩هـ) الذي عد الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة مدة مؤقتة، وأخذ الناس بمحنة خلق القرآن، وانحصر نفوذ المعتزلة في الأوساط العُليا فقط، أما العامة فكانت معادية لها. كذلك عرفت دولة الأغالبة أطباء انتقلوا إليها من المشرق، لعل أشهرهم إسحاق بن عمران الذي جمع بين الطب والفلسفة بديار المغربى.

بنى الأغالبة مدينتين ملكيتين كانت أولاهما العباسية أو القصر القديم، وقد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة، وبنى فيها قصره ومساكن حاشيته والمسجد الجامع، ودار سك النقود والدواوين، وأحاطها بالأسوار القوية، وجعل من خلفها خندقاً يحيط بها. وفي وسط المدينة ساحة واسعة عرفت بالميدان كانت تستخدم لعرض الفرسان، واتسعت العباسية، وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة وفنادقها وأسواقها .

أما المدينة الثانية فهي رقادة التي بناها إبراهيم بن أحمد، وقد ابتدأ بها سنة ٢٦٣هـ/ ٩٧٧م وبنى فيها القصور، منها قصر بغداد، وقدر لهذه المدينة أن تنمو وتتسع باطراد، فأضاف إليها الأمراء من بعده قصوراً أخرى أشهرها قصر العروس الذي بناه زيادة الله الثالث بن عبد الله على أربع طبقات، وأنفق فيه ٢٣٢ ألف دينار. وبنى محمد بن أبي عقال الأغلب مدينة قرب تاهرت سماها العباسية. كما اهتم الأغالبة ببناء الصهاريج (خزانات المياه) التي عرفت باسم «ماجل» .

أما المساجد فكثيرة وكان زيادة الله الأول بن إبراهيم قد جدد مسجد القيروان، وأقام في قاعة الصلاة عدداً كبيراً من الأعمدة الرائعة التي أحيطت أطرافها بأشرطة من الخشب ذات التزيينات المحفورة. وقام بعض خلفاء زيادة الله بإضافة عناصر عمرانية وتزيينيه جديدة إلى ذلك المسجد. كذلك أحدثت بعض الإصلاحات والإضافات في المسجدين الكبيرين جامع الزيتونة في تونس والجامع الكبير في سوسة، كما بنيت المساجد الفخمة في القيروان وغيرها، كذلك عني الأغالبة بتحصين المدن ولا ريب أن غنى ولاية الأغالبة في الزراعة والتجارة ساعدهم على جمع المال اللازم للعمران، وساعد في تنشيط الزراعة نشر الأمن في الطرق وتحسين وسائل المعاملات التجارية ولاسيما النقد، فقد ضرب الأغالبة نقوداً ذهبية ظل عيارها صحيحاً وقدره ٤.٥غ ذهب حتى أواخر أيام الأسرة حين انحط العيار إلى ٤.١٢غ ثم إلى ٤غ فقط. ومن اهتمامات الأغالبة الأخرى بناء الأربطة من أجل الجهاد وعلى رأسها قصر المرابطين بسوسة. وقيل إن أحمد الأغلبي بنى بأرض إفريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد.

آثار الأغالبة الحضارية :

كان الأغالبة يقيمون المنشآت والأبنية من غنائم الجهاد دون أن يثقلوا كاهل الناس بالضرائب. ومن تلك الآثار:

- العباسية أو القصر القديم في أيام إبراهيم بن الأغلب.
- الجامع الكبير في القيروان .وكذلك بناء الصهاريج فيها.
- بناء الرباط في سوسة بعهد زيادة الله بن إبراهيم، وكذلك جامعها.
- بناء قصر صفاقس) القصبة اليوم)، ثمّ بناء سور المدينة العتيقة وجامعها.
- بناء مدينة رقادة وقصر الفتح.

المصادر والمراجع:

١.السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلام .

٢.حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الأول .

٣.ابن وردان: مستند تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي ١٩٨٨م .